نشأة القرامطة وعلاقاتهم الخارجية

عبد الرحمن محمد كنجو
قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة إدلب
المغرب

ملخص باللغة العربية:

ضعف الدولة العباسية، وتدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، فتح المجال أمام الحركات المناهضة ولا سيما القرامطة الذين انتشروا في بلاد الشام والعراق والبحرين، ودخلوا في حالة من التحالف مع الفاطميين في مصر وشمال أفريقيا بحكم التوافق المذهبي، إلا أن حروبهم الطويلة مع العباسيين وخلافاتهم الداخلية وقيامهم بأعمال السلب والنهب كانت من الأسباب الأساسية لانهيارهم.

الكلمات المفتاحية (القرامطة، العباسيين، الفاطميين)

ملخص بالغة الإنكليزية:

The weakness of the Abbasid state and the deterioration of its economic and social conditions paved the way for the rise of opposition movements ،particularly the Qarmatian movement ،which spread across the Levant ،Iraq ،and Bahrain. The Qarmatians entered into an alliance with the Fatimids in Egypt and North Africa ، motivated by doctrinal affinity. However ،their protracted wars against the Abbasids ، coupled with internal disputes and their engagement in acts of pillage and plunder ، constituted key factors that ultimately led to their collapse.

Keywords: Qarmatians – Abbasids – Fatimids.

مقدمة:

أظهر الباحثون في الآونة الأخيرة اهتماماً عاماً بتاريخ الحركات السياسية والاجتماعية والدينية في التاريخ العربي الإسلامي، وبتاريخ القرامطة خاصةً، وذلك لما كان لهذه الحركة من أهمية كبيرة، تنبع مما قدمته من أفكار في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والفكرية، عدّت ثورة وانقلاباً على مفاهيم ذلك العصر في النصف الثاني من القرن الثالث والرابع الهجريين/ التاسع والعاشر الميلاديين.

وقد أُعتمد في كتابة البحث على التفسير والتحليل المنطقي، ومناقشة الأحداث للوصول قدر الإمكان للحقائق، وتم الاعتماد على كتب المؤرخين أمثال ثابت بن سنان والطبري وابن خلدون وابن الأثير، التي قدمت كم هائل من المعلومات، تم اختزالها وبيان صحتها وتعليلها.

يتألف البحث من مقدمة تتضمن التعريف بالموضوع، ومتن يتضمن نشأة القرامطة وسبب تسميتهم، ودولهم، وعلاقاتهم مع العباسيين والفاطميين، وأسباب اضمحلال دولتهم وزوالها عن مسرح الأحداث في ذلك العصر، وينتهي البحث بخاتمة تتضمن النتائج التي توصل إليها البحث.

القرامطة وأصل تسميتهم:

اختلف الشيعة على تسلسل الإمامة فنشأت بينهم الفرق، أبرزها الإمامية (الاثني عشرية) والزيدية والإسماعيلية التي تعد إسماعيل هو الإمام السابع وليس موسى الكاظم، ونشأ منها فرق عدة، أبرزها القرامطة والحشاشون والدروز[1].

القرامطة، اسم عرفت به إحدى الفرق الإسماعيلية، شغلت السلطات العباسية قرابة قرن من الزمن، أشاعت القلق والاضطراب في المشرق العربي[2].

وتضيف رواية أخرى بأنهم طائفة سياسية اتخذت الدعوة إلى الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق وسيلة لتحقيق أغراضها وسلاحاً للوصول إلى ما تصبو إليه من أهداف[3].

أما عن تسميتهم، فقد تعددت الآراء والأقوال، منها أن كلمة القرامطة تعني دقة الكتابة ومقاربة الخط، وأيضاً يقال: أنهم عرفوا بالقرامطة نسبة إلى أحد دعاتهم، وهو حمدان بن الأشعث الملقب بقرمط، ويقال أنه سمي قرمط لقصر قامته ورجليه، وفي رواية أخرى أن كلمة قرامطة، هي لفظ سرياني تعني (المعلم السري)، ولكن معظم الروايات تنسب التسمية إلى حمدان الملقب بقرمط[4].

العوامل التي ساعدت على ظهور ونجاح الحركة:

ساعد ضعف الدولة العباسية على نمو الحركات الثورية المعارضة، وإذا أردنا أن نحلل أسباب ظهور حركة القرامطة في القرن الثالث الهجري/ الحادي عشر الميلادي لوجدناها مشابهة مع أسباب قيام حركة الزنج إلى حد ما.

وتعود إلى سوء الأحوال والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، فقد تجمعت الثروات في أيدي قليلة، وأصبح للبيوتات التجارية مكانتها على صعيد السلطة، كما أن الإقطاع الزراعي عَظم، وبات رجال السلطة يملكون العديد من القرى، ويطلبون المزيد، وإلى سيطرة العناصر الأجنبية

(1) –أبي فاضل، وهيب: موسوعة عالم التاريخ والحضارة، نوبليس، د ـ ت، ج 2، ص 116.
(2) –الولي، طه: القرامطة أول حركة اشتراكية في الإسلام، ط 1، بيروت، 1981م، ص 26.
(3) –أبو جوهر، محمد أمين: الإسماعيليون بين الاعتزال والتشيع، دمشق، 2004 م، ص 115.
(4)– الولي: المرجع السابق، ص 27.

المتمثلة بالبويهيين على الحكم في الدولة العباسية، حيث كانت السلطة الفعلية بيدهم، أما بالنسبة للخليفة العباسي فكانت سلطته اسمية. ويؤيد ذلك أن المستجيبين لها كانوا من الفلاحين والصناع والمثقفين الفقراء وانضم إليها بعض البدو(5).

ولكن ما هي العوامل التي ساعدت على نجاح هذه الحركة وانتشارها بشكل سريع في العراق والشام والجزيرة العربية حتى وصل دعاتها إلى نيسابور والديلم، هذه العوامل تتمثل بـ:

1 _ وجود برنامج عمل اقتصادي واجتماعي واضح، يقوم على أساس إلغاء الملكية الخاصة إلا للسيف والحصان، والتعاون في دفع الضرائب التي فرضها عليهم زعماؤهم لتمويل الثورة.

2 _ تنظيم حركتها، حيث تميزت حركة القرامطة بدقة التنظيم والسرية التامة(6).

3 _ كسب البدو: نجح القرامطة في استمالة البدو إليهم وساعدهم في ذلك أن الخليفة العباسي المعتصم قطع عن البدو الأعطيات التي كان العباسيون يدفعونها لهم، بعد أن استعان بالأتراك في جيشه، مما جعل بعضهم ينضم إلى القرامطة.

4 _ ضعف الدولة العباسية زمن المعتضد، وتدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، فتح المجال أمام أغلب الحركات المناهضة للعباسيين على استقطاب المعارضين للظلم والفساد(7).

قرامطة العراق:

اختلف المؤرخون حول نشأة هذه الحركة وموطن انطلاقها، كما اختلفوا حول مؤسسها، ومتى كانت.

يذكر الطبري، أن رجلاً قدم من خوزستان إلى سواد الكوفة وتظاهر بالزهد والورع والتقشف، ثم التف حوله جمع من الأنصار فأعلمهم أنه يدعو إلى إمام من أهل بيت رسول الله ρ ويذكر أيضاً أن رجلاً من كبار الملاك يسمى الهيصم، أحس بخطر هذه الحركة، فسعى للقضاء عليها لكنه أخفق(8).

وكان من أنصار هذه الحركة رجل يدعى حمدان قرمط، الذي نُسبت إليه هذه الحركة، قد تولى أمر القرامطة وتوجه إلى صاحب الزنج، في محاولة منه لتوحيد الحركتين في قتالهما ضد الدولة العباسية.

يروي الطبري عن حمدان قرمط قوله "صرتُ إلى صاحب الزنج، ووصلتُ إليه وقلتُ له: إني على مذهب، ووراءي مائة ألف سيف، فناظرني فإن اتفقنا على المذهب ملتُ بمن معي إليك، وإن تكن الأخرى انصرفت عنك .... فناظرته إلى الظهر، فتبين لي في آخر مناظرتي إياه أنه على خلاف أمري .... فمضيت خارجاً من مدينته"(9).

استغل حمدان قرمط الفئات المتضررة من سوء الأوضاع غاية الاستغلال ونادى بمبادئ تقبلتها، عمل على نشر الدعوة الإسماعيلية في سواد العراق، واعتمد في ذلك على صهره عبدان، وقد حدث صراع بين زعماء القرامطة في العراق حول قيادة الحركة بعد حمدان قرمط، واحتدم

(5) –الصابئ، ثابت بن سنان بن قره: أخبار القرامطة في الإحساء والشام والعراق، اليمن، تح: سهيل زكار؛ ط1، دمشق، 1980 م، ص 17؛ بيطار، أمينة: تاريخ العصر العباسي، ط 5، دمشق، 2005م، ص 248.

(6) –الياس، سليم: الموسوعة الكبرى للفرق والمذاهب والأديان، ط 1، بيروت 2008م، ص 79.

(7)– الصابئ: المصدر السابق، ص 17.

(8) –الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك، دار الكتب العلمية، ط 2، بيروت، 1988 م، م 5، ص 601 –602.

(9) –الطبري: المصدر السابق، م 5، ص 603؛ ابن الأثير، محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني: الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، ط 6، بيروت، د _ ت، ج 6، ص 71.

التنافس بين عبدان صهر حمدان قرمط وزكرويه بن مهرويه زعيم قرامطة شمالي غربي العراق، وانتهى الأمر لصالح زكرويه بن مهرويه وقتل عبدان[10].

لقد شعرت الدولة العباسية بخطر القرامطة، فأرسلت جيشاً إلى نواحي الكوفة، تمكن من قتل أعداد كبيرة منهم سنة287 هـ/ 900م، عندئذ عزم زكرويه بن مهرويه على توسيع نشاط القرامطة إلى بلاد الشام، وهدف من ذلك إلى توسيع منطقة دعوته ولِضم عناصر جديدة إليها، مستفيداً من اضطراب الأحوال في بلاد الشام التي كانت تحت حكم الطولونيين وولاتهم، خصوصاً بعد أن تلقى عدة ضربات من العباسيين في العراق.

تولى أمر القرامطة في بلاد الشام يحيى بن زكرويه المعروف بـ (الشيخ) الذي أخذ يدعو إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق وصادف نجاحات كبيرة، حيث استجاب له بني العليص من كلب وجماعات أخرى، إلا أنه في المعركة التي وقعت بين الطولونيين والقرامطة هزم القرامطة وقتل قائدهم يحيى بن زكرويه[11].

بعد مقتل يحيى بن زكرويه تولى قيادة القرامطة أخوه الحسين بن زكرويه الملقب (بصاحب الخال)، هاجم الحسين حلب وحماه وحمص ودمشق، فأرسل الخليفة العباسي المستكفي عدة جيوش تمكنت من هزيمة القرامطة وأسر الحسين بن زكرويه.

لم يبقَ من قواد القرامطة إلا زكرويه بن مهرويه الذي تمركز في صحراء السماوة وأخذُ يهاجم المدن والقرى، وَنهبَ قوافل الحج، واستمر في نشر الذعر والرعب بين السكان حتى سنة 294هـ/906م حين تمكنت جيوش العباسيين من هزيمة جيشه وإصابته وأسره ثم لم يلبث أن مات[12].

قرامطة البحرين:

في سنة 218هـ/889م، قدم إلى البحرين[13] رجل يدعى يحيى بن المهدي، نزل على رجلُ يسمى علي بن المعلى، وزعم أنه رسول المهدي، وأنه قد قرب خروجه، فأخبر علي بن المعلى الناس، وقرأ عليهم الكتاب الذي مع يحيى، فأجابوه واعلموه بأنهم خارجون معه إذا ظهر أمره.

وكان ممن أجابه أبو سعيد الجنابي (الحسن بن بهرام) الذي تسلم رئاسة الدعوة، وأخذ يعمل على نشرها بالبحرين منذ سنة 283هـ/891م[14].

أصبح نفوذ العباسيين في الجزيرة العربية مهدداً من ناحية القرامطة الذين نجحوا في اقتطاع بلاد البحرين، حيث لاقت تعاليمهم قبولاً كبيراً لدى الناس، ولا سيما الأعراب، الذين كانوا دائماً على استعداد للانضمام لأي حركة ثورية ما دمتُ تتيح لهم فرصة تحقيق أهدافهم وغايتهم أياً كانت[15].

(10)- الصابئ: المصدر السابق ص398؛ بيطار: المرجع السابق 249ص.

(11) -عليان، محمد عبد الفتاح: قرامطة العراق في القرنين الثالث والرابع الهجريين، القاهرة، 1970، ص 94؛ بيطار: المرجع السابق، ص 249-250.

(12)- أبو الفداء، إسماعيل: المختصر في أخبار البشر، دار المعرفة، بيروت، د ـ ت، ج 2 ص 61؛ ابن خلدون، عبد الرحمن: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1958، ق 1، م 4، ص 188؛ المسعودي، علي بن الحسين: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، 1988 م، م 4، ص 280.

(13) -إن كلمة البحرين لا تعني ما يعرف اليوم بمملكة البحرين وإنما تشمل كل من الإحساء والقطيف والبحرين الحالية.

(14) -ابن خلدون: المصدر السابق، م 4، ص 188؛ الطبري: المصدر السابق، م 5، ص 631.

(15) -سرور: المرجع السابق، ص 42.

ولم تمضِ سنوات ثلاث على إعلان الثورة حتى أخذت تسقط بأيديهم مدن بلاد البحرين الواحدة تلو الأخرى، وما إن حلت سنة 286هـ/899م، حتى كانت جميع مدن البحرين قد أصبحت تحت سيطرتهم، وامتدت دولتهم إلى الطائف عدا مدينة هجر[16]. التي تمكن أبو سعيد الجنابي من السيطرة عليها وهي عاصمة بلاد البحرين آنذاك بعد حصار دام سنتين ثم اتخذ مدينة الإحساء عاصمة لدولته[17].

اصطدم أبو سعيد الجنابي مع الخلفاء العباسيين وجرت بينهما حروب كثيرة، تمكن أبو سعيد من خلالها من بسط نفوذه على معظم أرجاء الجزيرة العربية، لكنه ما لبث أن اغتيل سنة 302هـ/914م على يد خادم له[18].

بعد اغتيال أبو سعيد الجنابي، خلفه ابنه سعيد في قيادة القرامطة واستمر في ذلك حتى ثورة أبي طاهر سليمان أخيه الأصغر الذي قتله وتولى أمر القرامطة وحصل أبو طاهر على كتاب توليته من عبيد الله المهدي، وهذا ما يثبت ولاء القرامطة في البحرين للدولة الفاطمية ببلاد المغرب العربي هذا من ناحية ومن ناحية أخرىُ يؤكد اتحاد الطرفين في سياسة العداء للعباسيين فقد عمل أبو طاهر على إشغال العباسيين في الشرق بحملاته التي وجهها إلى بغداد والبصرة والكوفة، حتىُ يتيح للمهدي توطيد نفوذه في المغرب العربي[19].

ولم يكتف أبو طاهر بذلك، فهاجم مكة المكرمة سنة 317هـ/930م وأقام الخطبة فيها للحاكم الفاطمي عوضاً عن الخليفة العباسي ونهب الحجاج واقتلع الحجر الأسود وأخذ كسوة الكعبة ونهب دور أهل مكة وذلك لإظهار الخليفة العباسي بالعاجز عن حماية الأماكن المقدسة[20].

أعقب ذلك حصول خلافات بين القرامطة بعد وفاة أبو طاهر، وآلت زعامتهم في نهاية الأمر إلى الحسن بن أحمد الأعصم الذي أعلن العداء للفاطميين والتمس سياسة التقرب من العباسيين فأعاد الخطبة للخليفة العباسي المطيع، عِوضاً عن المعز الفاطمي.

ورغم ذلك لم يعترف الخليفة العباسي بالقرامطة، إلا أن بنو بويه المتسلطين على الحكم أرسلوا إليه الأموال وكذلك الحمدانيين أمدوه بالمال والحديد[21].

في الحقيقة إن سبب إمداد بني بويه للقرامطة بالمال يعود إلى رغبتهم في كسب القرامطة إلى جانبهم خصوصاً بعد نجاح الفاطميين في السيطرة على مصر وزحفهم باتجاه الشام.

أما بالنسبة للحمدانيين فيرجع إمدادهم للقرامطة بالمال والحديد إلى احتلال الفاطميين لبلاد الشام الجنوبية ودخولهم في حالة حرب مع الحمدانيين، فأراد الحمدانيون كسب القرامطة إلى جانبهم في صراعهم مع الفاطميين.

قامت الخلافات الداخلية بين قرامطة البحرين بعد وفاة الحسن بن أحمد الأعصم سنة 367هـ/ 948 م، وأنكر قسم كبير منهم السياسة المعادية للفاطميين، وحصل بينهم خلاف حول من يتولى الحكم، ثم استقر الرأي على أن يتولى الحكم اثنان من سادتهم، وهما جعفر واسحق.

وهؤلاء أظهروا العداء للعباسيين وأعادوا علاقتهم مع الفاطميين وأعادوا الدعوة الفاطمية وأخذوا في محاربة العباسيين ولكنهم انهزموا على يد صمصام الدولة أمير بني بويه سنة 375 هـ/ 985 م.

---

(16)- أبو جوهر: المرجع السابق، ص 64-65.

(17) -سرور: المرجع السابق، ص 42-43.

(18) -بيطار: المرجع السابق، ص 252.

(19) -ابن الأثير: المصدر السابق، ج 6، ص 147.

(20)- الصابئ: المصدر السابق، ص 53؛ الياس: المرجع السابق، ص 74.

(21) -بيطار: المرجع السابق، ص 251.

ضعف أمر القرامطة منذ أواخر القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي وأدى التنافس بينهم إلى التعجيل باضمحلال دولة قرامطة البحرين وزوالها في نهاية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي[22].

علاقات القرامطة مع العباسيين والفاطميين:

إن علاقات القرامطة مع كل من العباسيين والفاطميين اتصفت بالتقلب والتبدل، ففي الوقت الذي أقام القرامطة علاقات ودية مع الفاطميين ناصبوا العداء للعباسيين، وفي الوقت الذي أقاموا علاقات ودية مع العباسيين ناصبوا العداء للفاطميين.

في الحقيقة توجد عدة أسباب دفعت القرامطة إلى عداء العباسيين ومحاباة الفاطميين، تتمثل بأن كلاهما من المذهب الشيعي المعارض للعباسيين السنة، وفي أهداف كل منهما في محاربة العباسيين والقضاء عليهم. فقد قامت حركة القرامطة كثورة ضد العباسيين، نتيجة سوء الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، وأنكروا على العباسيين حقهم في الخلافة. فعندما انتشر القرامطة بسواد الكوفة، وجه إليهم الخليفة العباسي المعتضد جيشاً تمكن من هزيمتهم وأسر رئيساً لهم يسمى (أبي الفوارس) وجيء به إلى المعتضد الذي قال له: "أخبرني هل تزعمون أن روح الله تعالى وأرواح أنبيائه تحل في أجسادكم فتعصمكم من الزلل، وتوفقكم لصالح العمل؟" فقال له: "يا هذا إن حلت روح الله فينا فما يضرك، وإن حلت روح إبليس، فما ينفعك، فلا تسأل عما لا يعنيك وأسأل عما يخصّك" فقال: "وما تقول فيما يخصني؟" قال: "أقول أن رسول الله ρ مات وأبوكم العباس حي، فهل طلب الخلافة، أم هل بايعه أحد من الصحابة على ذلك؟ ثم مات أبو بكر، فاستخلف عمر، وهو يرى موضع العباس، ولم يوصِ إليه ولا أدخله فيهم، فبماذا تستحقون أنتم الخلافة وقد اتفق الصحابة على دفع جدك عنها؟" فأمر الخليفة بتعذيبه بعد تقطيع يديه ورجليه وخلع عظامه[23].

في حين قامت العلاقات الودية بين القرامطة في بلاد البحرين والفاطميين في المغرب العربي، منذ أن أرسل عبيد الله المهدي إلى أبي طاهر زعيم القرامطة بتوليته، وقد ترتب على ذلك اتحادهم في سياستهم العدائية إزاء العباسيين.

فعمل أبو طاهر على إشغال العباسيين في الشرق بحملاته التي وجهها إلى البصرة والكوفة وبغداد، في سبيل إتاحة الوقت للفاطميين في المغرب العربي بتوطيد نفوذهم.

كما عمل على إظهار الخليفة العباسي بمظهر العاجز عن حماية الأماكن المقدسة، فاعترض طريق الحج وهاجم مكة المكرمة وأخذ كسوة الكعبة واقتلع الحجر الأسود، وقطع الخطبة للخلافة العباسية وأقامها للفاطميين [24].

إلا أن قيام أبو طاهر بالاعتداء على بيت الله واقتلاع الحجر الأسود لاقى رفض العباسيين والفاطميين على حد سواء. فاضطر القرامطة إلى إرجاعه بعد أن بقي لديهم اثنتي وعشرين سنة[25].

لقد كان القرامطة خلال النصف الأول من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي حريصين كل الحرص على الاحتفاظ بعلاقاتهم الودية مع الفاطميين الذين نجحوا في الاستيلاء على مصر وبلاد الشام وقسم كبير من الجزيرة العربية، وهكذا أصبح الفاطميون والقرامطة متجاورين، ولكن هذا التجاور أساء إلى علاقتهم المتبادلة[26].

---

(22) –عليان: المرجع السابق، ص 92؛ بيطار: المرجع السابق، ص 254.

(23) –الصابئ: المصدر السابق، ص 17؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج 6، ص 100؛ الياس: المرجع السابق، ص 78.

(24) –الصابئ: المصدر السابق، ص 53؛ الياس: المرجع السابق، ص 74.

(25) –الصابئ: المصدر السابق، ص 56؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج 6، ص 204–205.

(26) –دي خويه، ميكال يان: القرامطة نشأتهم ودولتهم علاقاتهم بالفاطميين، تح: حسين زينة، ط1، بيروت،

ففي سنة 359 هـ/ 969 م، تولى أمر القرامطة الحسن بن أحمد الأعصم الذي اتبع سياسة جديدة إزاء الفاطميين تخالف من سبقه من زعماء القرامطة الذين كانوا يحرصون على استمرار العلاقات الودية بينهم وبين الخلفاء الفاطميين ولكن لماذا انقلبت العلاقات الودية بين القرامطة والفاطميين؟

كان القرامطة يفرضون أتاوات على الأخشديين في مصر والشام وعندما تمكن الفاطميين من السيطرة على مصر ودمشق سنة 359 هـ/ 969 م، طالب الأعصم بالأتاوة التي كان يدفعها الإخشيديون للقرامطة، فرفض الفاطميون ذلك، وكان ذلك الشرارة التي فجرت الحرب بينهم.

وأراد الفاطميون بعد أن قويت شوكتهم وملكوا بلاد غنية أن يقضوا على القرامطة ويتخلصوا من نفوذهم ومزاحمتهم لهم[27]، وأيضاً من أسباب الخلافات بينهم التطرف المادي للقرامطة وبقاء الدعوة الفاطمية دعوة روحية[28].

عمل الأعصم على إعادة الخطبة للخليفة العباسي المطيع. وقام بمهاجمة الفاطميين، حيث وقعت المعركة الأولى بين القرامطة والفاطميين قرب دمشق سنة 360 هـ/ 970 م، وفيها هزم الفاطميين وسبب ذلك استهانتهم بالقرامطة من جهة، ولأن قسماً كبيراً من جيشهم كان يحارب البيزنطيين في أنطاكية من جهة أخرى.

تمكن الأعصم من الاستيلاء على دمشق وتوجه منها إلى الأرياف وبعد عدة معارك تقدم الأعصم باتجاه مصر، فاستولى على الفرما مفتاح الديار المصرية، وتابع زحفه حتى وصل أبواب القاهرة ولكن القائد الفاطمي جوهر الصقلي تمكن بعد معركة دامت أربعة أيام من هزيمة الأعصم الذي انسحب إلى البحرين.

عمل الأعصم على تجهيز حملة أخرى ضد مصر تمكن خلالها من حصار القاهرة، لكنه أيضاً انهزم مرة أخرى[29].

وهكذا فقد استمرت العلاقات العدائية بين الطرفين حتى سنة 376 هـ/ 977 م أي سنة وفاة الحسن بن أحمد الأعصم حيث قامت الخلافات الداخلية بين القرامطة، وقاموا بإنكار سياسة العداء للفاطميين ومبايعة العباسيين وتجلى ذلك بإلغاء الخطبة للخليفة العباسي[30].

ويمكن القول بأنه اتصفت علاقات القرامطة بالفاطميين بالودية والتحالف طوال عصرهم باستثناء الحقبة التي حكم فيها الحسن بن أحمد الأعصم، في حين اتصفت علاقات القرامطة بالعباسيين بالعداء طوال عصرهم باستثناء الحقبة التي حكم فيها الحسن بن أحمد الأعصم[31].

أسباب اضمحلال القرامطة وزوالهم:

في منتصف القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، دخل القرامطة مرحلة الاضمحلال والسقوط لأسباب داخلية وأخرى خارجية تتمثل بـ:

1978 م، ص 149-150.

(27)- الصغير، أجفان: الحياة الاقتصادية والاجتماعية والإدارية عند الجماعات الإسماعيلية في سورية بعد تلاشي الخلافة الفاطمية، ط 1، حمص، 2002 م، ص 113؛ سرور: المرجع السابق، ص 48-49.

(28) -بيطار: المرجع السابق، ص 256.

(29) -لويس برنارد: أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرامطة، تح: خليل أحمد خليل، بيروت 1980م، ص 126-127.

- تامر، عارف: القرامطة ونشأتهم وتاريخهم وحروبهم، بيروت، 1989، ص 109-110.

- حسن، علي إبراهيم: تاريخ جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله الفاطمي، مطبعة حجازي، ط1، القاهرة ,1933م، ص61.

(30) -المير علي، إسماعيل: القرامطة، بيروت، 1983، ص247-248؛ سرور: المرجع السابق، ص 49-50.

(31)- جوزي، بندلي: من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام، ط 3، بيروت، 1982، ص 203.

1 _ الخلافات الداخلية: لعبت الخلافات الداخلية دوراً كبيراً في زوال هذه الحركة، إذ أن التنافس على الحكم بين جعفر واسحق أدى إلى التعجيل في اضمحلال دولة القرامطة وزوالها، في نهاية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي.

2 _ عدم إتباع سياسة موحدة: تمثلت في محاربة القرامطة للعباسيين تارة والفاطميين تارة أخرى، الأمر الذي أنهك الدولة وأدى إلى زوالها.

3 _ قيام القرامطة بأعمال أدت إلى نفور الناس منهم على الرغم من إصلاحاتهم الاقتصادية، مثل مهاجمة الحجاج واقتلاع الحجر الأسود.

خاتمة:

من خلال ما تقدم يمكن القول بأن القرامطة حركة سياسية دينية تفرعت عن الإسماعيلية، انتشرت في المشرق العربي في النصف الثاني من القرن الثالث والرابع الهجريين / التاسع والعاشر الميلاديين نتيجة سوء الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في الدولة العربية في العصر العباسي، دخلوا في حروب كثيرة وقادوا الحملات العسكرية على الشام والعراق ومصر كلفتهم الجهود العالية والتضحيات الجسيمة وتنوعت نتائجها بين المد والجزر.